احسن ما سُمع

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ممَّن اصابوا قصبة السبق في مجال الآداب وتركوا لمن بعدهم آثارًا طيِّبة صنَّفوها في كلّ باب . واناروا بها الاذهان واطربوا الالباب . كاتب فاضل يُعدُّ بين ائمة الكتَّاب . نريد ابا منصور عبد الملك الثعالبي احد ادباء نيسابور . فيها وُلد سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١م) وفيها توفي سنة ٤٢٩ (١٠٣٨) وقد قضى حياته الطويلة في خدمة الآداب ونال الحظوى لدى كبار رجال زمانه من ملوك وامراء واعيان وكان يراسل اكثر علماء زمانه كما تدلُّ عليه تآليفهُ . اما مصنَّفاتهُ فهي عديدة تنيف على ثلاثين مصنَّفًا في الأدب والشعر والانشاء والمراسلات والتاريخ نُشر منها في بلاد الشرق قسم صالح فطُبع لهُ في الاستانة العليَّة التمثيل والمحاضرة . وسحر البلاغة . والمبهج . والنهاية في الكتابة . والايجاز والاعجاز . وبرد الاكباد . وفي دمشق الشام يتيمة الدهر في اربعة اجزاء . ونثر النظم وحلّ العقد . وفي بيروت فقه اللغة . ومن غاب عنهُ المطرب . وفي تونس خاصّ الخاصّ . وفي مصر سرّ العربيَّة . والظرائف واللطائف . وقد نشرنا في المشرق (٢٨:٣) كتابهُ في مكارم الاخلاق . وقد عرف الاوربيُّون فضل هذا الكاتب فاذاعوا من تآليفهِ مؤنس الوحيد . ولطائف المعارف . ولطائف الصحابة . وغرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم وهو من ابدع الآثار التي طُبع في باريس مع ترجمة افرنسيَّة للعلَّامة زوتنبرغ . وقد بقي لهذا الكاتب عدَّة تآليف مخطوطة تستحقّ ان تبرز الى الوجود لفوائدها نخصُّ منها بالذكر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب منهُ نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . وفيها ايضًا كتاب آخر عزيز الوجود يدعى كتاب الآداب . وفي مكتبة باريس كتاب احاسن المحاسن . وفي مصر المتشابه . وفي ثينَّة كتر الكتَّاب الى غير ذلك ممَّا لا يزال في زوايا النسيان

وممَّا طُبع آخرًا في مصر لابي منصور الثعالبي كتاب متوسّط الحجم تبلغ صفحاتهُ نحو المائتين يُدعى « احسن ما سُمع » طبعهُ بمطبعة الجمهور « حضرة الكاتب الفاضل

محمد افندي صادق عنبر، وهو قد « نظر فيه وصححهُ وشرح عباراته » فبادرنا الى مطالعة هذا الاثر الجديد الذي استخرجهُ متولي طبعه من المكتبة الحديويَّة وهو من نفائس تركة الفقيد الامام العلَّامة محمد محمود التركزي الشنقيطيّ فنثني على جناب المصحح وعلى كلّ ملتزمي الكتاب الذي نُشر بالحرف الاستنبوليّ المُشرق وأُحكم طبعهُ

ولمَّا كان هذا التأليف من المجاميع الاديبَّة النادرة يحتوي غررًا من الحكم المنظومة بقلم شعراء مفلقين من الطبقات الاولى احببنا ان نختار منهُ بعض دررهِ لتزيّن بها صفحات مجلَّتنا في غرَّة هذه السنة الجديدة . تكنَّنا رأينا ان نقدّم على ذلك بعض الملحوظات في التأليف المنوَّه بهِ ثمَّ في طبعتهِ الجديدة

أجلنا النظر في تأليف التنابيّ فاذا هو يقسمهُ الى ٢٢ فصلًا في موادّ مختلفة يفتتحها بالالهيَّات ثمَّ يعقبها بالنبويَّات ثمَّ الملوكيَّات ثمَّ الاخوانيَّات ثمَّ الادبيَّات ثمَّ الحمريَّات ثمَّ فصول السنة ثمَّ الآثار العلويَّة ثمَّ الدنيا والدهر والامكنة والابنية والطماميَّات الى ان يختمها بالمراثي والتعازي وفنون من المحاسن . فضمَّن كلّ بابٍ بعض مقطَّعات من نظم مشاهير الشعراء . تبلغ ابياتها اذا عُدَّت نحو ١٣٠٠ بيت وجدنا كثيرًا منها رقيق اللفظ بليغ المعنى كما سترى

ومع استحساننا لهذا المجموع قد وجدنا مؤلفهُ اطلق عليهِ اسمًا لا يوافقهُ الموافقة التامَّة . وبيانًا لذلك نسألهُ اهذه « احسن ما سُمع » منهُ هو او « احسن ما سُمع » مطلقًا . فان قال الاوَّل ردَّ قولهُ بيّنت كثيرة اوردها لشعراء اقدم زمنًا او ابعد مكانًا من ان يسمعهم بنفسهِ . ثمَّ نجد في جميع نتي منصور الاخرى كتيمة الدهر والاعجاز واللطائف ابياتًا ومقاطيع بديعة لا تقل عمَّا اوردهُ هنا شأنًا وتجاريها في حسن لفظها وانسجام تراكيبها وبُعد شأوها قد نعتها بنعوت الثناء وجعلها من احسن ما سمعهُ وهو مع ذلك لم ينظمها في سلك هذا المجموع.

وان قال الثاني اي انَّ الكتاب يحتوي « احسن ما سُمع » على الاطلاق كان الاسم ابعد من المرمى لانهُ مستحيلٌ ان يكون مجموع صغير كهذا « أحسن ما سُمع » من اقوال كل العرب . والدليل على قولنا انهُ لم يكد يُدخل في مصنَّفهِ شيئًا من اقوال شعراء الجاهليَّة مع انَّ في دواوينهم ابياتًا اجمع الادباء على فضل بلاغتها . وكذلك قد سكت

عن كثير من شعراء الاسلام الذين لا يختلف اثنان في محاسن اقوالهم كالفرزدق وجرير ولم يذكر للاخطل الّا بيتًا واحدًا هيهات ان يُعدّ من احسن ما قالهُ . وكذلك لم نجد للمتنبي ولابي فراس الحمداني وللبحتري الّا النزر القليل . وقد اكثر على خلاف ذلك من اقوال من هو دون هؤلاء كابن المعتزّ وابي الفتح البستي والمهلّبي وابن الروميّ . وزد على ذلك انهُ لو جمع افضل ما سُمع على الاطلاق لما كفتهُ المجلّدات الضخمة مع كثرة اغراض الكتابة واختلاف ابوابها

وان تصفحنا بعد هذا فصول الكتاب وجدنا ايضًا في بعض متفرّقاتهِ ما لا يحسن بهِ ان يُنظم في « أحسن ما سُمع » فلو عرضناهُ على غيرهِ لتحقّقنا انّ ذلك افضل من هذا المسموع ولا نريد شاهدًا على قولنا الّا ما افتتح بهِ الكتاب قال « أحسن ما جاء نظمًا في حمد الله وذمّ الزمان قول ابن المعتزّ :

حمدًا لربّي وذمًّا للزمان فما اقلّ في هذه الدنيا مروّاتي »

فكلّ يرى انّ هذا البيت لا يتجاوز القول الصحيح ولا نجد فيهِ من البلاغة ما زعم الثعالبي . وكذلك قول كشاجم (ص ٨١) الذي جعلهُ احسن ما قيل في وصف الهلال :

اهلًا وسهلًا بالهلا لِ بدا لعينِ المبصرِ
او ما تراهُ يلوحُ في جوّ السماء الاخضرِ

وهو كما ترى نظم رائق ليس الّا . ومثلهُ قول الآخر رواهُ كأحسن ما سُمع في هجر بخيل (ص ١٠٤) :

جئتهُ زائرًا فقال لي البَـوّابُ صبرًا فانهُ يتغدّى

وفوق ذلك انّا وجدنا في هذا المجموع اقوالًا بذيّة بعيدة عن الذوق السليم حتّى ان متولّي طبع الكتاب نفسهُ استنكف من ايرادها . وبعض ما اوردهُ كان الاولى ان يُطوى ذكرهُ كقول ابن المعتزّ في مغالبة الشمس للسحاب (في الصفحة ٨١) لا نرويهِ لبذاءتهِ . ومثلهُ ما اورد للآخر (ص ١٧٢) :

وجه ابي عمرو واللونُ بهِ في القبح والبرد يُضرَبُ المثلُ
كأنهُ في اتّساع صورتهِ رونقُ ثورٍ قد داسها جملُ

فاين كلّ ذلك من الحُسن . ولكن دعنا بعد هذا نخصّ بالنظر عمل متولّي طبع

الكتاب ثمَّ نبدي لهُ ملحوظاتنا ليزيدهُ حسنا في طبعتهِ الثانية ان شاء الله . واوَّل ما افادنا انَّ النسخة التي اخذ عنها كانت « سقيمةً مكتوبة بقلم لا تكاد تُحلُّ رموزهُ لما دخل على الفاظهِ من التصحيف واعتور رسمها من التحريف » . فمن هذا ترى فضل الطابع وهمَّتهُ في نشر هذا الكتاب منقَّحاً . وقد صحَّح بعض اغلاطهِ . ويا ليتهُ كان دلَّ على مواضع الاصلاح ليطَّلع القارئ على صوابهِ ولعلَّ بعضهُ يخالف مقصود الشاعر او منطوقهُ . وعلى كلِّ حال كان الاولى بهِ لو فتَّش على نسخةٍ ثانيةٍ يقابل نسختهُ عليها فيصلحها بالمعارضة . نعم اننا لا نجهل انَّ نسخ هذا الكتاب عزيزة في المكاتب لكنَّ في خزانة كتب « كوپريلي » في الاستانة العليَّة نسخةً حسنة لو استنسخها جنابهُ لسهَّلت لهُ العمل

وقد نبَّه في بعض الاحيان الى وجوه الاصلاح فرأيناهُ غالباً مصيباً . فممَّا احسن في اصلاحهِ (ص ٣٨) ما جاء في عتاب الرَّجل المَلُول في قول الشاعي (كذا) :

اذا انا عاتبتُ المَلُول فانَّما اخطُّ بأقلامي على الماء احرفا

وكانت اللفظة تحرَّفت « بالملوك » . وكذلك اصلح لفظة « منتحل » بمتنخِّل في قول المهلبيّ :

فكأنَّ لفظك لؤلؤ متنخَّل وكأنَّ آذانا اصدافهُ

فالمتنخَّل المختار ويجوز ايضاً « متنصَّل » بالصاد . واحسن ايضاً باصلاح قولهِ « غدنَ » بغدَتْ في بيت ابي تمَّام (ص ٣٥) :

ارواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت ابداننا بشآم او خراسانِ

وفي الصفحة عينها اصلح « على رغمي » تصحيف « ابن عمّي » :

أميل مع الذمام على ابن عمّي واقضي للصديق على الشقيق

ومع حسن هذه الاصلاحات قد بقي في هذه الطبعة ابيات كثيرة مغلوطة مكسورة الوزن كقولهِ (ص ١٩ س ٤) :

كما امر اللهُ الحكيم بشكرهِ فقال اشكروا لي ايها الثقلانِ

والصواب « أيُّها الثقلان » . ومثلهُ (ص ٣١ س ١٢) :

الم ترَ انَّ الله قال لمريم وهزّي اليك الجزع يساقط الرطب

والصواب : « كي يسقط الرُّطبُ » . وفي (ص ٣٣ س ١٥) قد صُحِّف بيت النابغة

« ولا قرار على زأرٍ من الاسدِ »

والصواب « على زأرٍ من الاسدِ » . وقد صُحّف البيت في قولهِ (ص ٤٥ س ٤) :

حكت السماء ندى يديـــك فلم اطق سعيا اليكا

ونظنّ انّ الصواب :

حكتِ السماء ندى يديـــك فلم أُطِق سعيًا اليكا

وكذلك صُحّف قولهُ (ص ٦٣ س ٧) :

ثُمّ فاستقي بينَ خفق الناي والقود

يريد « العُود » فصُحّفت بالقود . وكذا (في ص٧٩ س ١) روى « جيب مزروز » يريد : « جيبٌ مزرور » . وكذلك كُسر الوزن (ص ٨٤ س ٢) في قولهِ :

كأنما نجم الثريـا لن يرمقها والظلام منطبقُ

والصواب « أنجم الثريّا » . وفي (ص ٩١ س ٢ و ٧) فسد المعنى بروايتي « جمعب » و « دينا » يريد « جمعت » و « دنيا » . وفي الصفحة التاليـة (س ٣) كسر الوزن بروايتهِ « فأخرجنا آله الناس » يريد « إلهَ الناس » . وروى (ص٩٨ س ٤) بيت ابن العلّاف الشهير في وصفهِ للهرّ :

لا بارك الله في الطعـام اذا كان هلاك النفوس في الجدد

فصار المعنى مشوّهًا اقبح تشويه . والصواب « في المِعَدِ » . وكذلك البيت الذي بعدهُ روى شطرهُ الأوّل « كم دخلت اكلة حشاشره » وكان الشاعر كتب « كم دخلت اكلةٌ حَشَا شرِهٍ » ويروى « لقمةٌ » بدلًا من « اكلة » . ومن سوء رواياته (ص١٤٥ س ٢) :

« من شاب قد هو مات وهو حيّ يمشي على الارض مشي هالـك

والصحيح « قد مات » . ومن تصحيفهِ قولهُ (ص ١٤٧ س ١٢) في الهلال :

يزداد حتّى اذا تمّ في الاشراق اعقبه كرّ الجديدين نقصا ثمّ ينمحق

وهو من البحور التي لم يروها الخليل . وصُحّف ايضًا قولهُ (ص ١٥٠ س ٦) :

ارجيهُ الواضح ام حلم الرا جح ام نائلهُ الثمر

والصواب :

ارجيهُ الواضح ام حلمهُ م الراجحُ ام نائلهُ الثمرُ

وصحّف ايضًا (ص ١٧٣ : ٣) قول الصابي :

مضع الخـدي لا هرّة خبزًا قرماها

والصواب « وضع » ولم يحسن تقطيع البيت . وكسر بيت عنترة (ص ١٧٥ س ٣) :

وبما بمن نـال فضلُ عافيةٍ وفوت بومٍ فقر الى احدِ

والصواب « وما بمن » . وكسر ايضاً بيت القائل (ص ١٩٠ س ٣) :

فلا تحتقرن مدوًّا رما ك ولو كان في ساعديهِ قصرْ

يُقام البيت ان اصلحتهُ بقولك « فلا تحقرنَّ » . وصُحف البيت الاوَّل في الصفحة الاخيرة

فتقاسم الناس المسرَّة بينهم قسماً وكان اجلُّهم حظّاً لنا

اصلاحهُ « انا » . وهذه بعض تصحيفات لحظناها تشوّه المعاني اما الاغلاط الطبعيَّة فتُعدُّ بالعشرات لا تتعرَّض لها . وكذلك لا نقول شيئاً عن تقطيع الابيات التي تدلُّ على قلَّة معرفة الطابع بأحكام العروض لا سيَّما في بعض البحور كالرمل والمتقارب . ففي الصفحة ٣٨ وحدها اربعة ابيات أُسيء تشطيرُها فيروي مثلاً :

وكنتُ اذمُّ اليك الزما ن فلمَّا نبا صرتَ حرباً علياً

ومن البديه انَّ « نون » زمان تختصُّ بالشطر الاوَّل على مقتضى تقطيع المتقارب

اما الشروح التي في ذيل الكتاب فهي مع فائدتها غير مستوفية وربَّما اورد الشارح ما لا يُحتاج الى شرحهِ وترك العويص . مثال ذلك البيت الاوَّل من الصفحة ١٠٣ « ولا تكن سابريَّ العرض محتشماً » فانَّهُ اتَّسع في شرح « المحتشم » وسكت عن « السابريّ » . وكذلك (في الصفحة ٦٧ س ١٤) بيت الحمداني

الخمر شمس في غلالة لاذ تجري وطلها من الجرذاذ

فشرح الغلالة واللاذ ولم يفدنا عن معنى الجرذاذ شيئاً . وكذلك ضرب الصفح (ص ٧٨ س ٧) عن « البجازي » في بيت المأموني بعد شرحهِ الفاظاً اخرى سهلة :

كأنـهُ في الاناء اوعية من البجازيّ ملؤها عسلُ

بقي علينا ان نقتطف من هذا المجموع بعض فرائدهِ لتتحف بهـا القرَّاء . ونبدأ بذكر ما رواهُ الثعالبيّ من الالهيَّات . قال (ص١٦) : ومن احسن ما قيل في الشكر لله على نعمتهِ قول محمود :

اذا كان شكري نعمةً الله نعمةً عليَّ لـهُ من مثلها يجب الشكرُ
فكيف بلوغ الشكر الَّا بفضلهِ وان طالت الايَّام واتَّصل العمرُ
اذا عمَّ بالسرَّاء عمَّ سرورها وان خصَّ بالضرَّاء اعقبها الاجرُ

ومن احسن ما قيل في التوكل قول بعضهم (ص ٢٢) :

توكّلْ على الله في النائباتِ ولا تلجِ فيها سواهُ بديلا
وثِق بجميل صنيع الإلـ ـه فما عوّد اللهُ الّا جميلا

ومن اجود ما قيل في محبّة الله قول محمود (ص ٢٤) :

تعصي الإله وانت تظهر حبّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقًا لأطعتَهُ انّ المحبَّ لمن أحبَّ مُطيعُ

ومن محاسن الاشعار الملوكيّة قول سلم بن عمرو في الرشيد (ص ٣٤) :

ملكٌ كأنّ الشمس فوق جبينهِ متهلّلُ الانساء والاصباحِ
فاذا حللتَ ببابهِ وفنائهِ فانزل بسعدٍ وارتحل بنجاحِ

ومن احسن ما جاء في الاخوانيّات قول زياد الاعجم (ص ٣٦) :

اخٌ لي ما اراهُ الدهرَ الّا على العلّاتِ بسّامًا جوادا
سألناهُ الجزيلَ فما تلكّا واعطى فوق منيتنا وزادا
واحسنَ ثمّ احسن ثمّ عُدنا فاحسن ثمّ عاودنا فسادا
مرارًا ما اعودُ اليهِ الّا تبسّم ضاحكًا وثنى الوسادا

واحسن ابو تمّام في مخالطة الاخوان (ص ٣٩) :

ذو الودّ منّي وذو القربى بمنزلةٍ واخوتي اسوةٌ عندي فاخواتي
عصابةٌ جاورتْ آدابُ أدبي فهم وإن فُرّقوا في الارض جيراني
ارواحنا في مكان واحدٍ وغدت ابداننا بشآمٍ او خراسانِ

ويستظرف لكشاجم قولهُ في فراق الاخوان (ص ٤١) :

قلتُ وقالوا بانَ اخوانُهُ فابدلوهُ البُعدَ بالقربِ
واقعِ ما شطّت نوى صاحبٍ سار من العين الى القلبِ

قال (ص ٤٢) : « ومما لا يزيد على حسنهِ قول بعض المولّدين» :

خطراتُ ذكرك تستثير مودّتي فاحسُّ منها في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي الّا وفيهِ صبابةٌ فكأنّ اعضائي خُلقنَ قلوبا

ومن اظرف ما قيل في الاستعارة قول ابي الفتح البستي (ص ٤٥)

عندي فديتُك سادةٌ احرارُ وقلوبهم شوقًا اليك حرارُ
وشرابنا شرْبُ العلوم وروضُنا تُرَبُ الحديثِ ونُقلنا الاشعارُ
فامنن علينا بالبدار فانّما اعمارُ اوقاتِ السرورِ قصارُ

ولم يسمع في حسن الكتابة قول احسن من قول ابي اسحاق (ص ٤٧)

واذا استنطق الاناملَ جاءت ببيانٍ كالجوهر المنضدِ
في سطورٍ كانما نثرتْ يُمناهُ منها عصابًا من بُرودِ
فقرٌ لم يزل فقيرًا اليها كلُّ مبدي بلاغةٍ ومُعيدِ
ببيانٍ شافٍ ولفظٍ مصيبٍ واختصارٍ كافٍ ومعنًى سديدِ

ومن مُلَح ابي الفتح البستيّ (ص ٤٨) في وصف كتاب :

كتابك سيّدي اجلى همومي وحلَّ بهِ اغتباطي وابتهاجي
كتابٌ في سرائرهِ سرورٌ مناجيهِ من الاحزان ناجِ
فكم معنًى بديعٍ درّجَ لفظٍ هناك تزوّجا ايَّ ازدواجِ
كراحٍ في زجاج بل كروحٍ سرت في جسم معتدلِ المزاجِ

ومن احسن ما قيل في ذم الدنيا قول ابن بسّام (ص ٨٧):

أومن بالدنيا (١ وايّامها فانّما للحزن مخلوقهْ
غمومها لا تنقضي ساعةٌ من مَلك فيها ولا سوقهْ
يا عجبي منها ومن شأنها مدوّةً للناس منشوشهْ

ومن قلائد ابن الروميّ في تقلّبات الدهر (ص ٨٩):

دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ بهِ وترى الشريف بحطّهُ شرفُهْ
كالبحر يرسبُ فيهِ لؤلؤهُ سفلًا ويعلو فوقهُ جيفُهْ

وكان الاستاذ الطبري يقول امدحُ بيتٍ للبحتري قولهُ (ص ١٤٨):

دنوتَ تواضعًا وعلوتَ مجدًا فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس تبعدُ اذ تُسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاعُ

ومثلهُ للوأواء (ص ١٤٩):

للناس ما لم يروك اشباهُ والدهرُ لفظٌ وانتَ معناهُ
والجود عين وانت ناظرها والناس باعٌ وانت يُمناهُ
ان كان فيما نراهُ من كرمٍ قبلك مزيدٌ فزادك اللهُ

ولابن الروميّ (ص ١٥٩) :

كلّ الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكمُ الاخلاقُ والخُلُقُ
فانتم شجرُ الأترجّ طاب مما حملًا وتَوْرًا وطاب العودُ والورقُ

---

١) قد زعم متولي طبع الكتاب ان هذا تصحيف قوله « افّ من الدنيا »

ومن احاسن الاستعارات قول البحتري (ص ١٦٦) :

يدٌ لك عندي قد ابرَّ ضيازما على الشمس حتَّى كاد يخبو سراجُها
فان تُلحق الشمسَ بنعمى فانهُ يزين اللآلي في النظام ازدواجُها

ومن لطائف ابي نواس في الشكر قولهُ (ص ١٦٣) :

قد قلتُ للبأس معتذرًا من ضعف شكريهِ ومعترفا
انت امرؤ حمَّلتني نعمًا اوهتْ قوى شكري فقد ضعفا
لا تدبنَّ اليَّ عارفةً حتَّى اقوم بشكر ما سلفا

واحسنَ من قال في الشيب (ص ١٤٢) :

ولقد رأيتُ صغيرةً سعت عذاري بالغبار
قالت غبارٌ قد علا كِ فقلتُ ذا غير الغبار
هذا الذي ننقل اللو كَ الى القبور من الديار

وبخلافهِ قول الآخر (ص ١٤٦) :

لا يَرُعْكِ المشيبُ يا ابنة عبد السلمي فالشيب زينةٌ ووقارُ
انما نحنُ الرياض اذا ما ضحكت في خلالها الانوارُ

وليس في هجاء اعمى احسن من قول القائل (ص ١٧٣) :

كيف يرجو الحياء منهُ صديق ومكان الحياء منهُ خراب

ومن جميل ما كُتب في الهدية قول احمد بن يوسف الى علي بن يحيى (ص ١٨١) :

من سنّة الاملاك فيما مضى من سالف الدهر واحوالهِ
هديّةُ العبد الى ربهِ في جدّة الدهر واقبالهِ
فقلتُ ما أهدي الى سيدي حالي اذا فكّرتُ من حالهِ
ان أهدِ نفسي فهي في ملكهِ او اهدِ مالي فهو من مالهِ
فليس الّا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لامثالهِ

ومن احاسن ما قيل في مرثية الولد قول المتنبي (ص ١٨٦) :

دعوتك يا نيَّ قلم تجبني فرُدَّت دعوتي بأسًى عليَّا
بموتك ماتت اللذاتُ منّي وكانت حيّة اذ كنت حيَّا
فيا أسفي عليك وطول شوقي اليك لو أن ذلك ردَّ شيَّا

ولآخر في صغير (ص ١٨٧) :

ان يكن ماتَ صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كان ريحاني فقد اصبح ريحانَ القبورِ

واحسن ما قيل في السرور بالبشرى قول بعضهم (ص ١٩١) :

ورد البشيرُ بما اقرَّ الاعينا وشفى النفوس فنلنَ غايات المنا
فتقاسم الناس المسرَّةَ بينهم قسماً وكان اجلّهم قسماً انا

ومن لطائف الاوصاف ما قالهُ الصاحب في الثلج (ص ٧٩) :

اقبل الجوّ في غلائل نورٍ وغادى في لؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماء صاهرت الار ضَ فكان الثارُ من كافورِ

ومن احسن ما وصف بهِ الربيع قول بعضهم (ص ٢٣) :

اربا بريعٍ للربيع وكُن لهُ ضيفاً تكنْ ندماءك الأنوارُ
من قائمٍ في ناضرٍ في فاقعٍ في ناصعٍ ضيّاغُها الجبّارُ

ومثلهُ قول الآخر (ص ٦٥) :

طاب هذا الهواء وازداد حتَّى ليس يزدادُ طيبُ هذا الهواء
ذهبٌ حبّنا ذهبنا وورد حيث رُدْنا وفضّةٌ في الفضاء

ونعم ما قيل لبعضهم في وصف الهشاشة للضيف (ص ١٠٣) :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحلهِ فيقبل عندي والمحلّ جديب
وما الخصب للاضياف ان تُكثر القرى ولكنَّما وجهُ الكريمِ خصيب

الاوصاف الحسنة وصف دارٍ للصاحب (ص ٩٣) :

دار على العزّ والتأييد مبناها وللمكارم والعلياء معناها
فاليمنُ اقبل مقرونًا بيمناها واليُسر اقبل مقرونًا بيسراها
لمّا بنى الناسُ في دنياك دورَهمُ بنيتَ في دارك الغرّاء دنياها

ومما يفضّل في الطعاميّات قول البستيّ (ص ٩٨) :

كل قليلًا تعشْ طويلًا وتسلمْ من موادي الاسقام والادواء
انما ينتذي الكريمُ ليبقى وبقاء الخبيث للاغتذاء

ويُستحسن قول ابي اسحاق الصابي في وصف الفستق (ص ٧٨) :

زمرُّد سائهُ حريرٌ في حُقّ عاجٍ لهُ غلافُ

واحسن ايضًا في وصف البقّ (اي البعوض) (ص ٧٤) :

اطافَ بي عسكرٌ للبقّ ذو لجبٍ ما فيهِ الّا شجاعٌ فاتكٌ بطلُ
من كلّ شائلة المخروم طاعنةٍ لا تحجبُ السُّجفَ سراها ولا الكِلَلُ
طافوا علينا وحرُّ الشمس يطبخنا حتَّى اذا نضجتْ اجسادنا أكلوا

وعارضهُ الثعالبي مؤلف الكتاب فقال (ص٧٥):

وليـل بتُّ رهنَ اكتئابٍ اقاسي فيهِ ألوان العذابِ
اذا شرب البعوض دمي وغنّى فللبرغوث رقصٌ في ثيابي

ونختم هذا بوصف طبيب فصّاد لكشاجم اجاد فيهِ كما شاء (ص١٦٠):

المجد قد وجدتُ اخاً لستُ بذا الدهر مثلهُ واجدْ
اسكنُ في حيّهِ اليهِ فان مرضتُ كان الطبيبَ والعائدْ
احنى على كلّ من يعالجهُ من الشفيقِ والوالدْ
يعلمُ من قبل ان تخاطبهُ ما انت من كلّ علّةٍ واجدْ
كأنما تحت ما يجسّ بهِ قلبٌ دليل وناظرٌ رائدْ
كأنما طرفُهُ لبضعهِ متّصل في طريقهِ العامدْ
كأنهُ في نصيحةٍ ونقيّ لنفسهِ دون غيرهِ قاصدْ
يُبقي عليها دم الحياة ولا يُخرج الّا المضرَّ والفاسدْ
يُخرج مقدارَ ما تريد على المزاج لا ناقصاً ولا زائدْ
مبارك الشخص حين تبصرهُ توقن بالبرء انهُ وارد

فهذه المنتخبات شاهد بيّن على ما اسلفنا من مديح هذا الكتاب وحُسن مضامينهِ . والسلام

اثر جديد لمار افرام السرياني

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

هو عمود اليمة وشمس المشارق . بل نبيُّ السريان وصنّاجة الروح القدس افرام النصيبينيّ الذي لم يتّسم بهذه الاسماء الشريفة كالقاب فارغة لكنّهُ استحقّها بحصر القول فضاق المنطق عن احصاء مناقبهِ وتعداد مبرّاتهِ . وكفاهُ فخراً ان تآليفهُ عُدّت في كنائس الشرق بمثابة الاسفار المنزلة فكانت تُتلى في الحفلات الدينيّة كما افاد القديس ايرونيموس . فلا بدع ان يتزاحم العلماء على مناهل ذلك الرجل العظيم فيستقون من ينابيعهِ ويتناقلون اقوالهُ بل يلتقطون شذرات كلامهِ كما يلتقط الجياع الفتات المتناثر من القصاع . فما قولك بهم لو جاءهم احد باثر جليل كان اخفى عليهِ الزمان او تلاعبت بهِ ايدي العيث فطمست محاسنهُ طوارق الحدثان . وها نحن نبشّر